البحرية الإسلامية في عهد الخليفة الناصر ودعم نفوذ الدولة الأموية بالأندلس

د/ عبدالله عبد العزيز التقاز (*)

ملخص البحث :

على الرغم من ظهور الإسلام وانطلاق العرب المسلمين في عملية فتوحات التحرير الإسلامية وامتداد إلى مناطق بعيدة مطلة على البحار أصبحت الحاجة ضرورية لركوب البحر والجهاد عبر البلاد التي وراءه، فظهرت المحاولات الأولى لإنشاء بحرية عربية إسلامية في عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على يد معاوية بن أبي سفيان وعجرفة بن هرثمه الأسدي وعلاء الحضرمي. وتبعاً للحاجة إلى السفن وعدد البحرية فإنشاء العرب دور للصناعة انتشرت على طول البلاد الإسلامية لتمد الأساطيل بحاجتها من السفن والمراكب البحرية والتجارية على اختلاف أنواعها وأحجامها، وأن بلاد الأندلس واحدة من بلدان الدول العربية الإسلامية التي اقتضت طبيعتها الجغرافية للاهتمام ببناء أسطول بحري قوي يحمي شواطئها المترامية الأطراف، فالأندلس شبه جزيرة يحيط في معظمها المياه لذلك أصبح من الضروري الحاجة إلى بناء البحرية العربية في الأندلس، لقد كان الهدف من البحث تحقيق الأتي:

(*) جامعة الزاوية – ليبيا .

- التعريف بالتأسيس الرسمي للبحرية الأسلامية العربية في بلاد الأندلس منذ بداية نشؤها أول مرة و تطورها.
- تحديد الدوافع التي جعلت الدولة الأموية بعدم الاهتمام الكافي في البداية ببناء القوة البحرية قبل عهد الأمير عبد الرحمن الناصر.
- عرض تاريخي لازدهار البحرية الأسلامية العربيةِ الأندلسية في عهد الخليفة الناصر، بتطور أنواع السفن و تمرس قيادة الأساطيل في الأندلس.
- تحديد التحديات التي جعلت الأمير عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ هـ الذي أمر ببناء و بتطوير قوة بحرية اسلامية بالأندلس.

أولاً: بداية نشوء البحرية العربية الإسلامية في الأندلس.

نشأت البحرية العربية في الأندلس بعد أن قطعت البحرية العربية الإسلامية شوط كبير من التقدم والتطور، فقد اقتضت طبيعة الأندلس الجغرافية الاهتمام ببناء أسطول بحري قوي يحمي شواطئها المترامية الأطراف[١]. فالأندلس شبه جزيرة يدور بسواحلها البحر المتوسط(الشامي) من الجهتين الشرقية والجنوبية، والمحيط الأطلسي(البحر المظلم) ومن الجهات الجنوبية الغربية والغربية والشمالية الغربية (خليج لسكاي)، أو بحر الأنقليش كما يسميه العرب.

وموقع الأندلس البحري هذا جعلنا عرضه للغزوات البحرية منذ القدم، فكان إنشاء أسطول بحري على درجة عالية من الكفاءة والمنعة أمر ضروري، فانتشرت بذلك صناعة السفن على طول السواحل وبخاصة

[١] الحميري ، محمد بن عبد الله ، صفة جزيرة الأندلس(الروض المعطار) تحقيق ليفي بروفنسار، القاهرة، ١٩٣٧، ص ٢.

السواحل الشرقية، منذ أيام القوط حكام شبة الجزيرة، ، فمؤلف كتاب (أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها) يذكر أن الوليد بن عبد الملك أمر موسي بن نصير أن يتريث ولا يتسرع في التقديم نحو الأندلس، وأن يأخذ الأمر أهبته، وأمره كذلك باختبار وضع الأندلس العسكري، وذلك بإرسال السرايا الاستطلاعية، فبعث موسي بن نصير تنفيذاً لهذا الأمر رجلا من مواليه يقال له طريف، ويكني بأبي زرعه في ٤٠٠ راجل ومعهم ١٠٠ فارس، فساروا في أربعة مراكب حتى نزلوا جزيرة الأندلس التي هي مركز المواكب ودور الصناعة القوطية، والتي سميت بعدئذ بجزيرة طريف، بعد أن نزل طريف فيها[١].

عسكر بهم في جزيرة طريق. تذكر بعض المراجع الحديثة أن هذه المراكب كانت تابعة ليوليان حاكم مدينة سبته، الذي كان قد نقم على لذريق ملك القوط وعمل على مساعدة العرب المسلمين في الفتح في حين أن لا يرد في كتاب أخبار مجموعة أنف الذكر ما يؤكد أن السفن كانت تابعة ليوليان حيث يقول" أن طارق عبر بسبعة ألاف من المسلمين كلهم من البربر ليس فيهم عرب إلا القليل فدخل في تلك الأربع سفن لا صناعة لهم غيرها"[٢].

أما المقري فقد ذكر نقلاً عن أبن حيان بأن يوليان كان مع الجيوش التي عبرت لنجدة طارق بعد عبوره إلى الأندلس ولم يذكر أن السفن كانت تابعه له[٣].

فقد أرسل طارق بن زياد إلى موسي بن نصير يخبره بأن قد فتح الله الجزيرة (طريق) وأستولي عليها وأنه قد زحف إليه ملك الأندلس بما لا

---

[١] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها،دار الكوفة، بغداد، ١٨٦٧، ص٦.
[٢] المصدر نفسه، ص٦.
[٣] المقوي، أحمد بن محمد ، نفخ الطبيب في غصن الأندلس الرطيب تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٩٤، الجزء الأول، ٢١٦.

طاقة له به، وكان موسي منذ أن وجه طارق إلى الأندلس، أخذ في عمل السفن حتى صارت معه سفن كثيرة فحمل إليه خمسة آلاف فأصبح عند طارق في الأندلس من الجند(١٢) ألفاً. وهذا يعني أن موسي بن نصير ربما قد أنشأ دار صناعة لبناء السفن واستفاد من دور الصناعة التي كانت قائمة في شمال إفريقيا.

لم يكن اهتمام الولاة الذين حكموا الأندلس بعد موسي بن نصير بالقوة البحرية كبيراً وذلك لانشغالهم بفتح بقية أنحاء شبه الجزيرة برا. هذا من وجهة وكثيرة الخلافات والصراعات من جهة ثانية، إلى أن دخلت الأندلس فترة الحكم الأموي المباشر بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق وتأسيسها على يد عبد الرحمن الداخل(صقر قريش) الذي فر هارباً من وجه العباسيين، وتمكن من العبور إلى الأندلس والسيطرة على الحكم فيها بمقدرته وشجاعته الفائقة ومساعدة الظروف الداخلية في الأندلس ذاتها عمد عبد الرحمن الداخل بعد استتاب الأمر له إلى بناء أسطول قوى يكون حائلاً دون تفكير العباسيين في محاولة السيطرة على الأندلس بعد فشل محاولتهم الأولى عندما قدموا المساعدة للعملاء بن حضيث وكذلك لمجابهة[1] التجديات الكارونجية (الرومانية المقدسة) التي تحالفت مع العباسيين من أجل النيل من الدولة الأموية في الأندلس.

لذلك عمد عبد الرحمن الداخل إلى إعادة الحياة إلى دور صناعة السفن القديمة وأمر ببناء سفن حربية في مراسي طركونة وطرطوشة وقرطاجة وأشبيلية ومع هذا قد بقيت البحرية الأندلسية محدودة القوى والأثر حيث لم تكن مشكلة بشكل رسمي إلا بعد الغزو النورمندي الأول على

---

[1] ماجد، عبد العظيم ، العلاقات بين المشرق والمغرب في العصور الوسطي، بيروت ١٩٦٦، ص٣٦.

الأندلس سنة ٢٢٩ هـ في عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) وربما يعود هذا إلى انشغال أمراء بني أمية منذ قيام دولتهم بتثبيت سيادة إستراتيجيتهم في الأندلس وتخليصهم من طمع الطامعين من الثوار والمنافسين المحليين من جهة ومجابهة الممالك الأسبانية الشمالية التي نشأت على أشلاء مملكة القوط القديمة، والتي بدأت تأخذ بأسباب القوة وتعمل على تهديد العرب المسلمين في أسبانيا الجنوبية وكانت هذه المجابهة تتم على الأغلب بواسطة القوة البرية، كما كان للعداء المشترك للدولة العباسية من قبل كل من الدولة الأموية في الأندلس والدولة البيزنطية في القسطنطينية، والتي كانت لها السيادة على جزء من البحر المتوسط أثر في عدم الاهتمام الكافي بالقوة البحرية في البداية، طالما أن خطر أكبر دولة بحرية وهي الدولة البيزنطية مأمون الجانب، فقد توثقت علاقات الصداقة بين الطرفين وجرى تبادل المراسلات والسفارات الدبلوماسية واستمرت سياسة الصداقة والمودة هذه لفترة طويلة، وكان يقابل هذه المودة عداء كل من الدولتين البيزنطية والأموية للدولة الرومانية المقدسة (الكازولجنية) في فرنسا التي ناصبت الأمويين في الأندلس العداءِ وعملت على مساعدة الممالك الأسبانية الشمالية، واتفقت مع الدولة العباسية في عدائها لكل من الأمويين والبيزنطيين على أن البحرية العربية في الأندلس اتخذت خط نمو آخر نستطيع أن نعتبره النشوء غير الرسمي للبحرية الأندلسية على يد الجماعات المغامرة المجاهدة التي أنشأت لها المراسي والموانى التي انطلقت منها الغارات البحرية التي جابت البحر المتوسط المختلفة لمهاجمة السواحل الأوروبية وبخاصة المناطق التابعة للدولة الإفرنجية، كسواحل فرنسا وإيطاليا، واستمرت هذه الجماعات في غاراتها البحرية المستقلة عن حكام

قرطبة حتى تأسيس البحرية الأندلسية بشكل رسمي حيث كانت تتلقي هذه الجماعات الدعم من قبل أمراء الدولة الأموية الذين استعانوا بخبرة هذه الجماعات عند إنشاء الأساطيل وإدارة شئونها، ويقول ابن القوطية" واستعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فأمر بإقامة دار صناعة أشبيلية، وأنشأ المراكب، وأسعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم فاستعد بالآلات والنفط"[١].

وأشهر هذه الجماعات البحرية هم الذين يعرفون في المصادر العربية بالبحريين وأصلهم من اليمن الذين اعتمد عليهم بني أميه عند قيام دولتهم فأنزلوا بعض قبائلهم من بني سراج القضاعيين في المنطقة الساحلية الشرقية في منطقة بجانه، وجعلوا إليهم حراسة السواحل وسمي المكان الذي سكنوه(أرش اليمن)[٢].

أي أعطيات أهل اليمن من الأرض والإقطاع وتمتعوا مقابل حمايتهم لسواحلهم من جهة البحر باستغلال المنطقة المحيطة بوادي بجانه برجا للحراسة فوق المرتفع الذي تقع عليه قصبه المرية في الوقت الحاضر[٣].

أن مساهمة أهل اليمن في حماية سواحل الأندلس يدل على ما لأهل اليمن من خبرة بحرية قديمة اكتسبوها من كون بلادهم ذات موقع بحري مهم منذ القدم.

وإلى جانب هذه العناصر اليمنية، اعتمد الأمويون كذلك في حماية سواحلهم على جماعات بحرية من أهل اسبانيا ذاتهم من المولدين

---

[١] القرطبي، ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسي بن مزاحم ،تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧، ٨٨. (توفى ٣٦٧هـ -٩٧٧م)

[٢] الحميري، مصدر سابق، ص ٣٧.

[٣] السيد ، سالم عبد العزيز ، تاريخ مدينة المرٍية الإسلامية قاعدة اسطنبول الأندلس، بيروت، ص ٢١ ، ١٩٦٠.

والمستعمرين، الذين كانوا منتشرين على طول السواحل الشرقية وكانت لهم مراسي ورباطات ودور صناعة، وقد نزل جماعة من هؤلاء في مدينة بجانه بجوار العناصر اليمنية، ثم تمكنوا من التغلب على شئون المدينة، يقول الحميري أن بجانة كانت حارات متفرقة حتى نزلها البحريون وتغلبوا على ما كان فيها من العرب وصار الأمر لهم، فحصنوها وبنوا سورها وامتثلوا في ذلك مدينة قرطبة[1].

أصبحت مدينة بجانه منذ سنة(٢٧١ هـ/ ٨٨٤م) عظيمة أمها الناس وسكنوها لاستتباب الأمن فيها، وبخاصة في زمن أمير البحريين عبد الرزاق بن يعيش الذي طلب من الأمر عبد الله (٢٧١-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) إقرار البحريين على المناطق المتواجدين فيها وإباحتهم البنيان حول قصبتهم بجابه، والتوسع في إعراضها لتكاثر الناس عندهم مقابل اعترافهم بسيادة الدولة عليهم وحمايتهم لسواحل الأندلس، فوافق الأمير على ما طلبوا، فوسعوا رقعة بلدهم بضم القرى والحصون المجاورة التي بلغ عددها عشرون حصنا برشانة وبني طارق وناشر وغيرها[2].

وكان هؤلاء البحريين يترددون بسفنهم في كام بين شواطئ المغرب والأندلس فيقضون فصل الشتاء في المغرب وفصل الصيف في الأندلس وأسسوا لذلك مدن متعددة في المغرب العربي منها مدينة تنس التي بنيت في سنة ٢٦٢هـ، ومدينة هران سنة ٢٩٠ هـ.

وقد أدى ازدهار قاعدة بجانه البحرية وازدهار السكان فيها إلى توجه النظار إليها من قبل سكان المناطق المجاورة، فابن حيان يذكر أنه في سنة

[1] الحميري، مصدر سابق، ص٣٧.
[2] ابن حيان، ابو مروان حيان بن فلسفه ، المقتبس في تاريخ الأندلس القسم الثالث، نشر الأب مشلورم انطونيه، باريس، ٥٣، ١٩٣٧.

٢٧٦ هـ غزا سوا بن حمدون المحاربي أمير العرب بغرناطة من كورة البيرة البحريين لما بلغه من حسن حالهم في بجانه واجتماع الناس إليهم واستخفافهم بمن جاورهم من العرب الغسانيين واستطالتهم عليهم، وكان أمير البحريين في هذه الفترة عبد الرزاق بن عيسى الذي أحسن السيطرة وضبط الأمور في جانة حتى أن المسافرين عندهم كانوا يضعون أمتعتهم ورحالهم بالأسواق والشوارع مطروحة بلا حارس، فلما علم عبد الرزاق بعزم سوار على غزو بجابه خشي العاقبة، فعمل على مداراتهم، فأخرج وجوه البحريين إلى العرب الغسانيون يطلبون السماح والشفاعة لدى سوار فوافق الغسانيون على ذلك وخرجت جماعة من الاثنين إلى سوار وكلموه واستعطفوه حتى انصرف عنهم، إلا أن البحريين عادوا بعد مدة إلى مضيقة العرب الغسانيين مما دفعهم إلى الاستنجاد من جديد بخليفة سوار بن سعيد بن جودي[١].

حيث كان سوار قد توفى عقب حصاره لمدينة بجانه مباشرة عمد سعيد بن جودي إلى محاصرة بجابة من جديد، ألا أن البحريين ثبتوا هذه المرة بوجه سعيد فلم يظفر منهم بطائل، وبينما هم على ذلك إذا جاء إلى بجانه خطر جديد متمثلاً بمهاجمة شنير قومس انبورش من بلد الأفرنجة بطلونية في خمسة عشر مركبا.

أرفات بساحل المرية فرضة بجابة وأحرقت كثير من المراكب وانتشر الجند في الميناء يسلبون وينهبون، وخرج البحريون نحو مرية ليلا وهاجموا سفن الأفرنجة فكانت عملية مباغته لقائد الأفرنجة الذي طلب الصلح من البحريين الذين وافقوا على الصلح على أساس المفادة والمبايعة، مما يدل على أن البحريين كانوا قد اسروا مجموعة من جنده، وانصرف قائد الأفرنج

---

١ البكري، أبو عبيد بن عبد العزيز ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مسحوب بالأوفيست، مكتبة المثني، بغداد، ٦١، ٧٠.

بعد ذلك، فتفرغ البحريون بعد ذلك لمجابهة سعيد بن جوري، الذي ظن بأن مددا جديداً قد جاء لمساعدة البحريين، فرحل عنهم مسرعا، وهكذا كان انصرف قائد الأفرنج وابن جوري سبباً في ارتفاع شأن أهل بجانه فلم يتعرض لهم أحد بعدها، فعمرت حضارتها واتسعت وحسنت الحال فيها، فلحقت بكبار أمصار الأندلس[1].

كانت الغزوات التي يقوم بها البحريون وتأخذ طابع الجهاد في سبيل نشر الإسلام وليست مقتصرة على طلب الغنيمة وحب القرصنة كما تصور ذلك المراجع الأوربية لهذا نلاحظ تعاون هؤلاء البحارة الأندلسيين مع الأغلبية في فتح جزيرة صقلية الإيطالية على الرغم من تبعية الأغالبة للدولة العباسية أسميا والتي كانت في حالة عداد مع الدولة الأموية في الأندلس، حيث اشترك البحريون بقيادة أصبح بن وكيل الهواري المعروف بفرغلوش بأسطول مكون من ٣٠٠ سفينة في الاستيلاء على ميناء بالرمو وميناء ميناو، بعد أن حاصر البيزنطيون الأغالبة في مدينة ميناو، فقدم البحريون لفك الحصار بعد أن اتفقوا مع الأغالبة على أن تكون القيادة لفرغلوش[2].

وفعلاً تمكنوا من فك الحصار ودخلوا المدينة سنة ٢١٣هـ إلا أن الخلاف دب بين الطرفين مما دفع قسم كبير من البحريين إلى العودة إلى الأندلس بعد سنة ٢١٥هـ[3].

كما قام مجموعة من هؤلاء البحارة الأندلسيين برئاسة أبي حفص عمر بن شعيب البلوطي المعروف بأبن الغليظ، من أهل قرية مطروح من

---

[1] ابن حيان، مصدر سابق، ص ٨٨-٨٩.
[2] المراكشي، أبن غازي ، البيان المغرب في أخبار المغرب، بيروت، ١٩٥٠، الجزء الأول، ص ١٣٥.
[3] سالم، السيد عبد العزيز ، احمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٦٩، ص ١١٤.

عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة من الاستيلاء على جزيرة كريت بعد سنة ٢٠٣هـ[1].

وأسسوا فيها أمارة وابتنوا لهم عاصمة وأحاطوها بخندق كبير، وكان استيلاء هولاء البحارة على جزيرة كريت عقب احداث الثورة الشهيرة ضد حكم بني هاشم (١٨٠هـ-٢٠٦م) والتي تعرف بثور الربض نسبة إلى الضاحية التي انطلق منها الثورة وهي الربض الجنوبي في قرطبة، حيث عمت الثورة معظم أنحاء قرطبة وأصبح وضع الحكم بن هشام حرجا إلا أنه تمكن بثباته وشجاعته القضاء على هذه الثورة الخطيرة وأمر بخروج ما بقى من أهل الربض الجنوبي بأجمعه وذلك في خلال ثلاثة أيام وأنه لا أمان لديه لمن تخلف منهم، فتفرق قسم منهم في أنحاء الأندلس وبخاصة مدينة طليطلة التي كانت خارجة في هذه الفترة عن حكم الحكم، وعبر قسم منهم المضيق إلى المغرب، واستقروا بين قبائل البربر في جبال الريف شمال المغرب، حيث أقاموا في مدينة فاس وعمروها ونقلوا معهم مظاهر الحياة العمرانية الأندلسية، فأعطوا المدينة طابع أندلسيا سواء في صناعتها أو في أبنيتها البيضاء ذات الحدائق الداخلية في أحواشها بحيث أخذ يطلق على المدينة اسم عدوة الأندلسيين[2].

اتجهوا بواسطة السفن إلى الأسكندرية في مصر واستولوا عليها بمعاونة أعراب البحيرة وكان هذا في فترة الاضطرابات التي شملت الدولة العباسية (النزاع بين الأمين والمأمون) وأقاموا فيها إمارة أندلسي مستقلة دامت ما يقارب (١٠) سنوات إلى أن قدم عبد الله بن طاهر قائدِ المأمون إلى

---

[1] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن جزم الأندلسي الظاهري ،وابن سعيد الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، نشرها وقدم لها، صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٦٩، ص ٨ ،(توفي ٤٥٦هـ).

[2] ابن القوطية، مصدر سابق، ص ٧٣.

مصر أمير عليها سنة ٢١٢ هـ فسار إلى الإسكندرية وحاصرها وأجبر الأندلسيون إلى طلب الصلح ومغادرة مصر وعدم النزول في أية أرض تابعة للدولة العباسية، فاتجهوا إلى جزيرة قريطش (كريت) التي كانت تابعة للدولة البيزنطية المعادية للعباسيين، فاستولوا عليها وأقاموا فيها إمارة استمرت إلى سنة ٣٥٠ هـ حيث تمكن البيزنطيون في صد الأمبراطور أرمانوس من الاستيلاء عليها وإعادتها لسيطرة الإمبراطورية البيزنطية[1].

واستمرت الغزوات البحرية طيلة فترة الدولة الأموية في الأندلس من قبل هذه الجماعات المغامرة سواء ممن كانوا يسكنون أو غيرها من مناطق السواحل الأندلسية، فمثلاً في سنة ٩١ هـ/ ٨٠٦م غزت جماعة بحرية جزيرة كورسيكا ثم بعد عامين تكررت المحاولة على جزيرة كورسيكا وجزيرة سردينيا ثم توالت غزاتهم بعد ذلك، ففي سنة٣٢٣هـ / ٨٣٨ م، خرج أسطول من ثغر طركونة الأندلسي متجها إلى مياه فرنسا الجنوبية وهاجم ثغر مرسيليا، وفي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٠م اضطربت أحوال مملكة الافرنج على عهد لويس التقي بن وشنوا حملاتهم على ولاية البروفانس عند مصب نهر الرون هاجموا مدينة(أرل) واقتحموها. وقد اشتدت غزوات العرب المسلمين على الموانئ الفرنسية والإيطالية في عهد عبد الرحمن بن الحكم(الأوسط) ٢٠٦-٢٣٨ هـ وأنشأ هؤلاء البحارة المجاهدين القلاع والحصون لاتخاذهم كقواعد للإغارة على المناطق المجاورة، حيث كانوا يستخدمون أسلوب الكر والفر في الإغارة على هذه المناطق فينطلقون من قلاعهم ثم يعودون إليها متى تعرضوا للخطر. وتتركز حصون العرب وقواعدهم على سواحل فرنسا وخاصة في جزيرة كامرج عند مصب نهر

---
[1] ابن حزم، مصدر سابق،ص ٨.

الرون، على أن أهم قاعدة إسلامية أنشأها العرب المسلمون هي حصن (فراكسنيتم Fraxinetum) أو جبل القلال، كما يسمنه المسلمون، ذلك أنه في سنه ٨٩٠م تمكنت مجموعة أندلسية مغامرة لم يزد عددها عن العشرين بحاراً من تأسيس قاعدة أو حصن على ساحل البروفانس وحوض الرون الأدنى، واستمرت هذه الغزوات فترة طويلة تزيد على الثمانين عاماً من هذه القاعدة والقواعد الإسلامية الأخرى إلى أن أخرجوا من قاعدتهم في فراكسنيتم عام ٩٧٥م[١].

ثانياً: التأسيس الرسمي للبحرية العربية في الأندلس.

الغوز النورماندي(الفايكنج) وأثره في تأسيس وتطور البحرية العربية في الأندلس.

تعتبر الغزوات النورماندية على السواحل الغربية للأندلس والتي ابتدأت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط المخفر الرئيس للتكوين الرسمي للبحرية الأندلسية، فقد كانت قبل عام ٢٢٩ هـ/ ٨٤٤م وهو تاريخ أول غارة نورمانية تمثل جهود جماعات مغامرة تلقي الدعم غير المباشر من الدولة الأموية لحماية سواحل الأندلس، حيث أنصرف الأمويون في البداية إلى تقوية الجيش البري لاستكمال السيطرة على شبة الجزيرة الأيبيرية ومجابهة الممالك الأسبانية الشمالية التي باتت تشكل نواة خطر حقيقي على الدولة العربية الإسلامية في أسبانيا الجنوبية، النورمانديون أو الفاتكنج(Vikingos) هم سكان المناطق الشمالية من أوروبا ومواطنهم الأصلي شبه الجزيرة الأسكندينافية وكانوا شعباً شرساً غير متحضر، والنورمان الدانمركيون هم الذين هاجموا الأندلس لأول مرة سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م، ويطلق المؤرخون

---

[١] عثمان،محمد عبد العزيز ، الحملات الأندلسية على فرنسا وإيطاليا وسويسرة وجزر البحر المتوسط مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، يوليو ١٩٧٩، ٧٨ وما بعدها.

المسلمون على النورمانديين تسمية المجوس الأردماتيون، بسبب أن النورمانديين كانوا وثنيين قبل اعتناقهم المسيحية فكانوا يوقدون النار في كل مكان يحلون فيه، بل أنهم كانوا يحرقون جثث الموتى من زعمائهم بسفنهم[١].

فظن العرب بأن هؤلاء المجوس عبده النار(الزرادشتيون) كانت الغارة الأولى على الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط كما ذكرنا، حيث كانوا قد بدءوا هجومهم على سواحل أسبانيا الشمالية على الإقليم الذي يعرف بأسم جليقية ولكن الملك رومير الأول ملك يعرف باسم ليون تمكن من ردهم[٢]. فاتجهوا إلى سواحل الأندلس الغربية والجنوبية في أواخر سنة ٢٢٩ هـ في أربع وخمسين مركباً معها أربع وخمسون قارباً[٣].

فنزلوا في ثغر أشبونه(لشبونه عاصمة البرتغال حالياً) فكتب عامل المدينة وهب الله بن حزم إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط ينبئه بالخطر "أنه قد حل بالساحل قبله أربع وخمسين قارباً".

فكتب إليه الأمير عبد الله أن يأخذ للأمر أهبته ويحتاط، وقد تمكن الوالي وهب الله بن حزم من الحد من هجماتهم فعلاً[٤].

مما اضطرهم إلى الاتجاه جنوباً إلى مدينة قادش ثم مدينة اشبيلية وذلك في ١٢ محرم سنة ٢٣٠ هـ/ ٤٨٣ م وكان عدد مراكبهم نحو من ثمانين مركباً هذه المرة يصفها ابن عذارى بقوله" كأنما ملأت البحر طيراً جونا كما ملأت القلوب شجوا شجونا"[٥].

---

[١] العبادي، أحمد مختار ، التاريخ العباسي الأندلسي، بيروت، ١٩٧١، ص ٣٤٨.
[٢] عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، مجلد واحد في جزئيين، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٥٩.
[٣] ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢ (أخبار الأندلس) ،ص ١٢٩.
[٤] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(العبر)، م.٤، بيروت ١٩٥٨، ص ٢٨١.
[٥] ابن عذارى، مصدر سابق، ص ١٣٠.

أي أنها تشبه الطيور السوداء في السماء لسواد أشرعتها وعند مدخل الوادي الكبير تمكنوا من السيطرة على جزيرة صغيرة يقال لها جزيرة(قبطيل) وكانت مليئة بالخيول والماشية فقتلوا أهلها واستولوا على كل ما فيها واتخذوها قاعدة لهم لكي تحمي ظهورهم في حالة الانسحاب بعد الهجوم، ثم تقدموا نحو أشبيلية التي كانت غير مسورة، فتصدت لهم بعض السفن، لكن النورمانديين أستقبولها بوابل من الأسهم النارية فاشتعلت النيران فيها وغرقت[1].

ثم وصلوا تقديمهم ودخلوا المدينة وأعملوا في أهلها القتل مدة سبعة أيام متتالية[2]. مما أدى إلى فرار من استطاع النجاة بنفسه من أهل اشبيلية إلى الجبال المجاورة وإلى مدينة قرمونة[3].

ثم انسحب النورمان بسفنهم بعد ذلك إلى جزيرة قبطيل لكي يضعوا فيها ما غنموه، ورجعوا إلى المدينة ثانية فوجدوها خالية من الناس ماعدا بعض الشيوخ الذين تجمعوا في أحد مساجد المدينة ليحتموا به فقتلوهم عن آخرهم، ولذا سمى هذا المسجد بأسم مسجد الشهداء[4]. وحاول النورمانديون الاتجاه بعد ذلك شمالا في نهر وادي الكبير نحو قرطبة العاصمة إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك لشدة التيار ولهذا استخدموا الخيول التي غنموها في مهاجمة المناطق المجاورة لمدينة أشبيلية. وفي هذا الظرف لمواجهة الخطر المحدق بالأندلس دعا الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى الجهاد تحشد الجيوش فأرسل على عجل فرقة من الفرسان يقودها عبد الله بن كليب ومحمد بن رستم، وجعل على قيادة قوات قرطبة عيسى بن شهيد كما استجد بقوات الثغر

[1] الشعراوي، أحمد إبراهيم ، الأمويون أمراء الأندلس الأول ، القاهرة ١٩٦٩، ص ٣٢٠.
[2] ابن عذارى، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٣٠.
[3] ابن قوطية، مصدر سابق، ٨٤٠.
[4] سالم ،السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس بيروت، ١٩٦٢، ص ٢٣٦.

الأعلى المتمرسة على القتال ضد الممالك المسيحية في الشمال وكانت بقيادة موسي بن قيسي، فتقدم في جيش كثيف كما يقول ابن قوطية[1].

وقد وضع ابن قيس بالتعاون مع القواد الآخرين خطة لاستدراج النورمانديين كانوا يخرجون يومياً من اشبيلية على شكل سرايا صغيرة يغيرون على المناطق المجاورة باتجاه مدينة قرطبة ومدينة مورور، فخرج ابن قسي بجيشه ليلاً إلى قرية خارج أشبيلية يقال لها(كنتش- معافر) وكمن فيها ثم اختفى جنوده في أعلى برج القرية الذي وضع على رأسه حزمه الحطب حتى يكشف وجوده من قبل السرايا النورماندية، فلما خرجت السرايا النورماندية في الصباح تريد مدينة مورور، أشار الحارس للقوات الكامنة بخروج النورمان، فلما ابتعدوا قليلاً خرج إليهم الجيش وقطع بينهم وبين طريق العودة إلى مدينة اشبيلية لإنقاذ المدينة وفك أسر عاملها المحتجز فيها[2]. وحول النورمانديون الانسحاب من أشبيلية نحو سفنهم يريدون الخروج بها إلى عرض المحيط الأطلسي، غير أن الجيوش الأندلسية اقتفت أثرهم وبدأت بضرب سفنهم بالماجيق المنصوبة على ضفتي النهر مما اضطر النورمان إلى النزول من سفنهم إلى البر لمجابهة الجيوش الأندلسية، ودارت المعركة الحاسمة قرب أشبيلية في قرية طلياطة في ٢٥ صفر سنة ٢٣٠ هـ، وانتهت بهزيمة النرمانديين ومقتل عدد كبير منهم، وعلى أن هذه الهزيمة تراجع من بقية منهم إلى الجنوب باتجاه جيزرة قبطيل، وكانت الجيوش الإسلامية ترميهم أثناء ذلك بوابل من الحجارة والأوظاف (مخلفات عظام البعير) ولما رأوا الخطر محدق طلب الصلح وأطلقوا الأسرى

[1] ابن قوطية، مصدر سابق، ص ٨٥.
[2] ١-المصدر السابق، ص ٥٨-٨٦ ، ٢-إبراهيم خليل السامراني، الثغر الأعلى الأندلسي، بغداد، ١٩٧٦, ص ٢٧٥.

المسلمين عندهم (ولم يأخذوا فدائهم ذهب ولا فضة وإنما أخذوا الثياب والمأكول[١].

وقد عمد النورمانديون أثناء انسحابهم من ثغور الأندلس إلى مهاجمة مدينة لبلة وباحة ثم ثغر أشبونه(لشبونه) ثم غادروا مياه الأندلس نهائياً مع باقي سفنهم في غزواتهم الأولى هذه[٢].

تركت الغزوة التي قام بها النورمانديون على ثغور الأندلس أثر كبير في نفوس الأندلس لما بثه من خوف ورعب وقلق مما دفع الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى أخذ الاهبه والاستعداد لصد أي هجوم مقبل من جهة البحر، فأمر ببناء سور أشبيلية لحمايتها، وعمل على صنع نقط الحراسة على طول الساحل الغربي من الأندلس عرفت بالربط يقيم فيها المتطوعون للدفاع عن الثغور مزودين بوسائل الدفاع العسكري وتكون الحراسة فيها من مناطق عالية أشبة بالفنارات تعرف بأسم الطلائع أو المناور ملحق بالربط تكشف عن سفن العدو ويقيم في هذه الفنارات الحراس الليليون المعروفون بأسم السحار فإن شاهدو سفنا قادمة من بعيد أشعلوا النار على قمم المناور ليلاً وأثاروا منها الدخان إن كان الوقت نهاراً[٣]، كما أمر الأمير عبد الرحمن ببناء دار لصناعة السفن في أشبيلية وزودها برجال البحر المدربين وبالات وقوارير النفط لاستعمالها في الدفاع[٤]. كما أنش دار لصناعة الأسلحة الأزمة للسفن في قرمونه[٥]. وكان من أثر ذلك أن أصبح للأندلس أسطول ضخم يضم عدداً كبيراً من السفن الحربية(الغزواتية) يقدر عددها بما يزيد على ٣٠٠

[١] ابن عذارى، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ١٣١.
[٢] أنس، أحمد بن عمر بن ، تحقيق ، عبد العزيز الاهواني، مدريد، ١٩٦٥، ص ١٠٠.
[٣] العبادي، مصدر سابق ، ص ٣٥١.
[٤] أبن القوطيه، مصدر سابق، ص ٨٨.
[٥] الحميري، مصدر سابق، ص ١٥٩.

سفينة، إذا أخذنا برواية أبن حيان وأبن الخطيب عند ذكرهما غزو الأسطول لجزيرتي ميورقهومنورقة " وفيها (أي سنة ٢٣٤ هـ) أعزاء عبد الرحمن أسطولاً من ٣٠٠ مركب إلى أهل جزيرتي ميورقهومنورقة لنقضهم العقد وإضرارهم بمن يمر إليهم من مراكب المسلمين، ففتح الله للمسلمين عليهم وأظفر بهم"[١].

مما دفع سكان هذه الجزيرة إلى طلب الصلح والدخول في طاعة الدولة الأموية وهذا يؤكد أن النفوذ العربي الإسلامي قد وصل إلى جزر البليار التي كانت تابعة للدولة الكارولونجية، وأن سكان هذه الجزر رأوا أنه من الأسلم لهم مهادنه الدولة القوية والدخول في ظل سيادتها، وهكذا نرى أن الغارات النورمانية كانت بداية عهد جديد بالنسبة للبحرية الأندلسية التي أصبحت من القوة بحيث استطاعت لفترة طويلة من الهيمنة على حياه غرب المتوسط[٢]. على أن النورمانديين قاموا بهجمات أخرى على الأندلس بعهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (على الرغم من أنهم في عهده سعوا إلى طلب الصلح وتبادلوا السفارات الدبلوماسية مع حكومة قرطبة) إلا أن هجماتهم هذه لم تستطيع أن تحقق أهدافها بسبب الاستعداد الذي اتخذ من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط ومن جاء بعده بحيث يصف ابن عذارى الاستعدادات البحرية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط عند حديثه عن غارات النورمانديين في سنة ٢٤٥ هـ فيقول وجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين معده تجرى من حائط الافرنجه إلى حائط جليقيه في الغرب الأقصى(يقصد غرب الأندلس)[٣].

---

[١] أبن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، محمود علي مكي، القاهرة ،١٩٧١، ص ١٤٤.
[٢] سالم ،سالم عبد العزيز، وآخرون، تاريخ البحرين، ص ١٦٧.
[٣] ابن عذارى، المراكشي، البيان المغرب وفي أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، ص ٢٣٧.

ثالثاً: عصر ازدهار البحرية العربية الأندلسية في عهد االخليفة الناصر

تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد الذي أصبح الخليفة الناصر لدين الله ماره الأندلس سنة ٣٠٠ هـ وكانت البلاد قد مزقتها الفتن وعمتها الثورات من الداخل وأحاطت بها الإخطار الخارجية من كل جانب يصفا ابن عذارى بقوله" وكان الخلاف قد عم أقطار الأندلس وطبق القاصي والداني منها، وأستولي أهل النفاق على كورها ومعاقلها". لكن الأمير الشاب تمكن من إثبات كفاءة نادرة المثال وعزم لا لين في التصدي للتحديات التي جابهت الدولة وبخاصة تمكنه من التخلص من أكبر واعتقد مشكلة تهدد وحده الأندلس إلا وهي ثورة عمرو بن حفصون المتمرد الذي تمرس علي روح العصيان وعدم الخضوع لسيادة قرطبة منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وتحصن في قلعه بربشر وسيطر على من جاورها من المناطق مستعينا بمناعة المناطق التي يتحصن فيها، وما يقدم له من مساعدات خارجية من قبل أعداء الدولة المتمثلين بالدولة الفاطمية في المغرب العربي أو دول الشمال الأسباني، هذه التحديات جعلت الناصر يعكف على إعداد جيش قوى مجهز بالأسلحة والذخائر ومن ثم توجيه عناية خاصة بإنشاء أسطول قوى لمجابهة الأعداء والاستعداد للمتغيرات التي شملت ميزان القوى البحرية في البحر المتوسط بظهور قوة الفاطميين البحرية، لذلك نشطت في عهد الناصر صناعة المراكب والسفن على طول المرافئ والثغور الأندلسية مثل طرطوشه والجزيرة الخضراء ومقاله ولقنت وشلب، وقصر أبي دانس ودانيه، واستخدمت لذلك أخشاب الصنوبر التي تنبت أشجارها في المناطق الشمالية[١].

أن أهم المرافئ التي أنشأت في عهد الأمير عبد الرحمن الناصر هي مرفأ المرية(مأخوذ من الرؤية) التي أمر ببنائه سنه ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ هـ،

---

[١] أبن عذارى، مصدر سابق، ص ٢٣٧.

فأصبحت قاعدة لأضخم أسطول أندلسي وداراً لصناعة السفن كما ابتني فيه الكثير من المنشآت العمرانية، فاتخذت في عهد طابع المدن احتلت بذلك المهمة التي كانت لمدينة بجانه (بابي الشرق) منها يركب التجار وفيها مرسى السفن والمراكب وفيها يكون ترتيب الأسطول الذي للمسلمين ومنها يخرج إلى الغزو الإفرنج[1]. لقد بلغت عدد مراكب الأسطول الأندلسي في أيام الناصر حسب رواية أبن خلدون(٢٠٠) مركب ويقول أبن الخطيب أن عدد المراكب التي كانت في عهد الناصر في مدينة المرية(٣٠٠) مركب أشرف على أمورها أبنه الحكم في بداية حكمه وجدد أسطولها. وأن الأسطول بلغ في عهد الحكم المستنصر(٦٠٠) قطعة بحرية[2]. وعلى هذا يكون عدد سفن الأسطول الأندلسي في عهد الناصر أكبر بكثير مما ذكره أبن الخطيب بالنسبة لمدينة المرية، نستنتج هذا من ذكر أبن حيا وأبن الخطيب عن أن غزو جزيرتي ميورقه ومنورقة في عهد عبد الرحمن الأوسط قد تم بأسطول مكون من(٣٠٠) مركب. فكيف الحال وقد توسع الأسطول في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وتعددت المراسي ودور الصناعة بحيث أصبح الأسطول الأندلسي من أقوى الأساطيل البحرية في البحر المتوسط[3]. من حيث السفن وأنواعها وقيادة الأساطيل عند العرب في الأندلس وهي اصبحت لا تختلف كثيراً عن أنواع السفن وأشكالها وأحجامها عما هو معروف في الشرق العربي آن ذلك حيث اهتم الأندلسيون بالقوة البحرية وما يلزمها من المراكب البحرية وكذلك التجارية لذلك أنشأوا دوراً لصناعة السفن على طول مدن

[1] ياقوت الحموي، أشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، القاهرة، ١٩٠٦، ج٨، ص ٤٢-٤٣ توفي (٦٢٢هـ-١٢٢٥ م)

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٣، ابن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق(محمد عبد الله عنان)، م١، القاهرة، توفى(٧٧٦هـ).

[3] أبن الخطيب، أعمل الإعلان، ص ١٨.

السواحل المهمة مثل طرقونه وطرطوشه وقرطاجنة والجزيرة الخضراء وأهما على الإطلاق مدينة المرية التي تعتبر القاعدة الأساسية للأسطول الحربي الأندلسي والتي كانت بنفس الوقت بوابة الأندلس التجارية مع المشرق العربي، حيث كانت هي ومدينة مالقا أغني بلاد الأندلس وأضخمها ثروة، كانت دور الصناعة هذه مهتمة ببناء سفن عديدة بين كبير وصغير وبين مركب وسفينة حربية أو سفينة تجارية ومن المؤكد أن الاهتمام كان منصبا على بناءاً لقطع الحربية والتي اتخذت أسماء عديدة من هذه السفن.

١- **الشواني:-** ومفردها شونة أو شينية وشيني ضخمة الحجم لها قلاع بيضاء عدد مجاديفها ١٤٤ لها أبراج عالية تستخدم للهجوم والدفاع ويقسم رجالها إلى مجموعات، مجموعة التجديف ومجموعة للقتال ومجموعة أخرى للشئون العامة وهكذا، وكانت هذه السفن تطلى بالقار وهي من أجل ذلك عرفت بالأغربة أو الغربان كذلك، كما يحتوى بعضها على أهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب.

٢- **الحربيات:-** من سفن الأسطول الأندلسي ومفردة حربية وهي نوع من الشواني ولكنها أصغر حجماً وأخف حركة وأسرع لحاقاً بالعدو[١].

٣- **الحرايق:-** ومفردها حراقة مراكب حربية مخصصه لإحراق سفن العدو تقذفها بالنفط واللهب عدد مجاديفها ما يقارب ١٠٠ مجداف.

٤- **الطرائد:-** مفردها طريده وهي مخصصة لحمل الخيل وتتسع لأربعين فارسا وهي تفتح من الخلف، كما أنها تحمل المقاتلين والذخائر والمؤن وتستعمل لخدمة عامة الناس في أيام السلم.

---

[١] مصطفي الشكحة، الأديب الأندلسي، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤٨٩.

٥- **الشلنديات:**- وحدتها شلندي، وتسمي بالصنادل أيضاً كبيرة الحجم شديد الاتساع مسطحة من أعلاها، تستعمل في نقل المؤن والذخائر وأيضاً تستعمل في حمل المقاتلة والسلاح وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة لها ساريتان أو ثلاث يبلغ طولها ١٩٥ قدماً وعرضها ٣٣ قدم وحمولتها ٦٠٠ شخص[١].

٦- **البطس:**- جمع بطسة، سفينة لحمل المجانيق والمقاتلة والسلاح تتكون من عدة طوابق ولها أربعون قلعا وتتسع لسبعمائة مقاتل[٢].

٧- **القراقير:**- جمع قرقورة تستعمل لنقل المؤن أصل أسمها بالأسبانية (كاراكا). كما هناك أنواع من السفن منها البارجة والشباك والجلاسة وغيرها كثير.

لقد كانت لقيادة الأسطول من المراكز المهمة لا بل الخطيرة في الأندلس فقد كان الخليفة الناصر يأخذ رأي ثلاث شخصيات في أمور الدولة المهمة أو لها قائد جيش سرقسطه حاضر الثغر الأعلى وذلك لأهمية موقعها بإعتبارها ثغر الأندلس ومعقلها الأعظم ثاني الشخصيات الثلاث قاضي قرطبة لمركزة الديني الكبير، وثالث الشخصيات قائد الأسطول لمدينة المرية، لأن هذه المدينة كانت تضم دار الصناعة الرئيسية في الأندلس ولأنها كانت تقع في وسط الأندلس، وكان قائد أسطول المرية في العصر الأموي يشارك الخليفة إلى حد ما في سلطاته فيما كان الخليفة يحكم في البر كان قائد الأسطول يحكم البحر. كانت قيادة الأساطيل بأجمعها تحت إمرة الماء وهذه التسمية اقتبسها الأوروبيون وحورت إلى أميرال أو ادمرال، وكانت هناك

---

[١] إحسان، هندى ، الحياة العسكرية عند العرب، دمشق، ١٩٦٤، ص ١٧٩.
[٢] عبد المنعم، ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٧٤-٧٥.

تيارات فرعية للأساطيل في المرافئ والمراسي المتعددة، إما الأسطول الموحد في عرض البحر، فكانت تقسم قيادته بين القائد لعام للأسطول الذي مهمته تدبير الأمور العسكرية، وبين الربان أو الأشتيام(التي تعني رئيس الملاحين والمركب) والذي مهمته قيادة الأسطول فنيا، وكان لكل مركب منفرد قائد يدعى المقدم، كما كان هنا النويته وأصحاب المجاديف والمنادي والأداء وغيرهم، وهكذا نرى أن فن البحرية الإسلامية في الأندلس قد ارتقى بشكل واضح مما جعل الأسطول الإسلامي يسهم إسهاماً مباشراً في السيطرة على معظم سواحل البحر المتوسط ويسهم في شكل فاعل في الدفاع عن الأندلس بحريا وليس أدل على رقي فن البحرية الأندلسية من أن معظم المصطلحات العربية انتقلت إلى اللغات الأوروبية عن طريق الأندلس، مما يؤكد علو شأن العرب في هذا المضمار[١].

[١] سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٠.

النتائـج :

أولا : الدوافع التي جعلت الدولة الأموية في البداية عدم الاهتمام الكافي ببناء القوة البحرية قبل عهد الأمير عبد الرحمن الناصر تتمثل في الأتي:

١- طالما أن خطر أكبر دولة بحرية وهي الدولة البيزنطية مأمون الجانب أثر في توثقت علاقات الصداقة مع الدولة الأموية ،نتيجة للعداء المشترك للدولة العباسية من قبل كل من الدولة الأموية في الأندلس والدولة البيزنطية في القسطنطينية، والتي كانت لها السيادة على جزء من البحر المتوسط .

٢- يعود هذا إلى انشغال أمراء بني أمية منذ قيام دولتهم بتثبيت سيادة إستراتيجيتهم في الأندلس وتخليصهم من طمع الطامعين من الثوار والمنافسين المحليين من جهة، ومجابهة الممالك الأسبانية الشمالية حيث أنصرف الأمويون في البداية إلى تقوية الجيش البري لاستكمال السيطرة على شبة الجزيرة الأيبيرية ومجابهة الممالك الأسبانية الشمالية التي باتت تشكل نواة خطر حقيقي على الدولة العربية الإسلامية في أسبانيا الجنوبية.

٣- اتخذت البحرية العربية الأسلامية في الأندلس نمو آخر نستطيع أن نعتبره النشوء غير الرسمي للبحرية الأندلسية على يد الجماعات المغامرة المجاهدة التي أنشأت لها المراسي والمواني التي انطلقت منها الغارات البحرية التي جابت البحر المتوسط المختلفة لمهاجمة السواحل الأوروبية وبخاصة المناطق التابعة للدولة الإفرنجية، كسواحل فرنسا وإيطاليا، واستمرت هذه الجماعات في غاراتها البحرية المستقلة عن حكام قرطبة و كانت تتلقي هذه الجماعات الدعم

من قبل أمراء الدولة الأموية الذين استعانوا بخبرة هذه الجماعات عند إنشاء الأساطيل وإدارة شئونها. حتى تأسيس البحرية الأندلسية بشكل رسمي .

٤- تعتبر الغزوات النورماندية على السواحل الغربية للأندلس والتي ابتدأت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط المخفر الرئيس للتكوين الرسمي للبحرية الأندلسية، فقد كانت قبل عام ٢٢٩ هـ/ ٨٤٤م وهو تاريخ أول غارة نورمانية تمثل جهود جماعات مغامرة تلقي الدعم غير المباشر من الدولة الأموية لحماية سواحل الأندلس، تركت الغزوة التي قام بها النورمانديون على ثغور الأندلس أثر كبير في نفوس الأندلس لما بثه من خوف ورعب وقلق مما دفع الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى أخذ الاهبه والاستعداد لصد أي هجوم مقبل من جهة البحر، فأمر ببناء سور أشبيلية لحمايتها، وعمل على صنع نقط الحراسة على طول الساحل الغربي من الأندلس عرفت بالربط يقيم فيها المتطوعون للدفاع عن الثغور مزودين بوسائل الدفاع العسكري وتكون الحراسة فيها من مناطق عالية أشبة بالفنارات،وهكذا نرى أن الغارات النورمانية كانت بداية عهد جديد بالنسبة للبحرية الأندلسية التي أصبحت من القوة بحيث استطاعت لفترة طويلة من الهيمنة على حياه غرب المتوسط.

ثانياً : التحديات التي جعلت الأمير عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ هـ الذي امر ببناء وبتطوير قوة بحرية اسلامية بالأندلس الأتي:

١- أعداء الدولة المتمثلين بالدولة الفاطمية في المغرب العربي التي افضت لتنافس الفاطميين مع الأمويين تنافساً سياسياً وعقائديا في نفس

الوقت، فمنذ أن ظهرت الدعوة الفاطمية في تونس وتحولت إلى ممارسة سياسية تمثلت في تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب العربي، واتجهت بأنظارها إلى الجهة المقابلة لمضيق جبل طارق حيث حاول الفاطميون في بداية التغلغل إلى الأندلس بواسطة بث الدعاة على هيئة تجار أو علماء أو رحاله، كما هو الحال مع ابن حوقل ومن ثم بدءوا بالتحرش بالأندلس والتدخل في شئونها عن طريق مساعدة بعض الثائرين، كما هو الحال في مساعدتهم للثائر أبن حفصون ففي سنة(٣٠١ هـ) عمدوا إلى إرسال مجموعة من المراكب البحرية لإمداده بالمؤن لكن الأندلسيون تمكنوا من إحراقها بجامعها[١]. هذه جعلت الناصر يعكف على إعداد جيش قوى مجهز بالأسلحة والذخائر ومن ثم توجيه عناية خاصة بإنشاء أسطول قوى لمجابهة الأعداء والاستعداد للمتغيرات التي شملت ميزان القوى البحرية في البحر المتوسط بظهور قوة الفاطميين البحرية.

٢- صراع الدولة الأموية مع ودول الشمال الأسباني (الدول الأوروبية)، أتبع الأمويون في الأندلس منذ البداية سياسة العداء للدولة الكارولونجية أو الافرنجة (الرومانية المقدسة) في حين اتبعوا سياسة المهادنة مع الدول الرومانية البيزنطية في البحر المتوسط وذلك لوجود القاسم المشترك بين الدولة البيزنطية والدولة الأموية في الأندلس وهو عداء الدولتين للدولة العباسية التي حاولت مرات عدة وبخاصة في عهد المنصور استعادة الأندلس وكذلك عداء الدولتين للدولة الافرنجية، التي حاولت من جانبها التقرب من الدولة العباسية

[١] ابن عذارى، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

لذلك فأن الطابع العام كان هو عداء الدولة الأموية في الأندلس للدولة الكارولنجية في فرنسا والدويلات الأوروبية الأخرى وبخاصة مدن إيطاليا الواقعة على سواحل البحر المتوسط ، فقد تقوت أساطيل العرب المسلمين بالأندلس في زمن عبد الرحمن الناصر وتوجهت إلى ساحل قطلونية في الجهة من قاعدة المرية وطرطونة وكررت حملاتها مرات متعددة.

وبهذا تكون البحرية العربية الأندلسية في عهد عبد الرحمن الناصر ومن بعده أبنه المستنصر قد بلغت من القوة بحيث تمكنت من السيطرة على سواحل فرنسا الجنوبية(البروفانس) واتخذ العرب لهم فيها قواعد ثابتة، مما دفع دواة الافرنجة إلى الاستنجاد بالمدن الإيطالية، لا بل حتى الاستنجاد بالدولة الرومانية البيزنطية[١].

[١] ماجد ،عبد المنعم ، العلاقة بين الشرق والغرب، مصدر سابق، ص ١٠٥.

مراجع البحث :

أولا :المصـــــادر :

- ابن حزم وابن سعيد والشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، نشرها وقدم لها، د. صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٦٨.
- ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق. د. محمود علي مكي، القاهرة، ١٩٧١.
- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، بيروت، ١٩٥٠.
- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، المجلد الأول، القاهرة.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(العبر) المجلد الرابع، بيروت، ١٩٥٨.
- ابن خلدون، المقدمة، مطابع الأوفسيت، مكتبة المثني، بغداد.
- ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧.
- أبو عبيد بن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مسحوب بالأوفسيت، مكتبة المثني، بغداد.
- أبو مروان، بن حيان، المقتبس في تاريخ الأندلس القسم الثالث، نشر الأب ملشرومانطونية، باريس، ١٩٣٧.
- إحسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب، دمشق، ١٩٦٤.

- أحمد إبراهيم الشعراوي، الأمويون أمراء الأندلس الأول، القاهرة،١٩٦٩.
- أحمد بن عمر أنس، تحقيق د. عبد العزيز الاهوائي، مدريد، ١٩٦٥.
- أحمد بن محمد المقري، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٤٩.
- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، ١٩٧١.
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة اسطنبول الأندلس، بيروت، ١٩٦٠.
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، ١٩٦٢م.
- السيد عبد العزيز سالم، ود. أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٦٩، ١١٤.
- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، بيروت ١٩٦٣.
- عبد المنعم ماجد، العلاقة بين المشرق والمغرب في العصور الوسطى، بيروت ١٩٦٦.
- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في الأندلس وذكر أمرائها، مدريد، ١٨٦٧.
- محمد بن عبد الله الحميري، صفة جزيرة الأندلس(الروض المعطار) تحقيق ليفي بروفنسار، القاهرة، ١٩٣٧.

- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مجلد واحد من جزئين، القاهرة، ١٩٦٠.

- مصطفي الشكحة، الأدب الأندلسي، بيروت، ١٩٧٤.

- ياقوت الحموي، معجم البلدان، القاهرة، ١٩٠٦.

ثانياً :المجـــــــــلات

- محمد عبد العزيز عثمان، الحملات الأندلسية على فرنسا وإيطاليا وسويسرة وجزر البحر المتوسط، مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، أيار ١٩٧٩م.

- محمد عبد العزيز عثمان، الحملات ، ثورة الربض ثورة شعبية عن تاريخ الأندلس، مجلة آفاق عربية، العدد ٣ ، تشرين الثاني، ١٩٧٨م.